بسم الله الرحمن الرحيم

مُـقَــدَّمَـة :-

أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَـدُهُ وَنَسْـتَعِينُهُ وَنَسْـتَغْفِرُهُ وَنَعُـوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُـرُورِ أَنْفُسِـنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَـادِيَ لَـهُ وَأَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ [آل عمران: 102] .

 يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَـقَ مِنْهَـا زَوْجَهَـا وَبَثَّ مِنْهُمَـا رِجَـالاً كَثِيرًا وَنِسَآء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء :1].

 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا*يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـالَكُمْ وَيَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب : 70] .

أَمَّا بَعْدُ[1] :

فهذا شرحٌ لمتنِ القواعد الأربع للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب –رحمه اللـه - ، وهي رسـالة مختصـرةٌ ونبـذة مهمـة عن التوحيـدِ ومايضـاده من الشرك ،وأهميتها تأتي بمعرفة مضادات تلك القواعـد الأربـع, وأنّ الإخلال بهـذه القواعد الأربع, أو عدم ضبط تلك القواعد يقع معه لَبس عظيم في معرفة حـال المشركين, وحال الموحّدين، وهذه القواعـد الأربـع مـأخوذةٌ من نصـوص الكتـاب والسنة ومن معرفـة حـال المشـركين الأولين ، فهي قواعـد عظيمـة تعصـم من حفظها وعلم معناها من الوقوع في مضاداتها.

ولذلك نجد أنّ العلماء قديماً و حديثاً اهتموا بها ، تدريساً وتعليقاً وحفظاً .وقـد قـام أخونـا الفاضل أبو عكرمة الخالدي[2] بشرحها شرحاً وافياً ، نسألُ اللهَ–أنْ يجزيه خيراً ، وأنْ يجزلَ لهُ الأجرَ والثواب .

شرح القواعد **الأربع**

القواعدُ لغةً :جمعُ قاعدة وهي أسفلُ الشيءِ وأساسُه .

واصطلاحاً: هي ما يُبنى عليها غيرُها ، وهي مرادفةٌ للأصل .

قال الشرفُ العِمريطي في نظمِ الورقات:

والأَصَلُّ ماعَلَّيه غَيَّرهُ بنِّي *** والفَرَّعُ ماعَلَّي سوأَهُي ينّبُنَيَّ.

الأربعُ: بيانٌ لعددِها ، والعدَّ **وسيلةٌ نبوية كما قال النبي : (اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ...) ، وقال : (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ...).**

فإذا قيل لك: كمْ عددُها ؟ فقلْ : أربعُ قواعد .

ولماذا سميتْ بالقواعـد ؟ سـميت بالقواعد؛لأنَّ من فهمها وحفظها كـانتْ له أساسـاً و قاعـدة لمعرفة و فهم العقيدة الصحيحة.

مؤلفها هو : الشيخُ المجددُ أبوالحسين محمدُ بنُ عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي ، ولد بالعيينـة عـام 1115 هـ ، وتـوفي بالدرعيـةعام 1206 هـ ، و العيينةوالدرعيـةحيّان من أحيـاء الرّياض ، وتوفي وله من العمر 91 عاماً ، وهو من علماء القرن الثاني عشر الهجري.

[المـَتْن]:

---

[1]() هذه تسمى خطبة الحاجة ، كان النبي يفتتح بها خطب الجمع والنكاح وغيرها .

[2] () المدرس بمجمع الإمام مالك الإسلامي بالطليح الخوالدة و يعنى المجمع بتدريس العلوم الشرعية .

قال المؤلِّف ـ رحمه الله تعالـ: [بسَمَّ الله الرَّحْمَن الرَحِيم .**أَسْـأَلُ اللـهَ الكَـرِيمَ ، رَبَّ العَـرْشِ العَظِيمِ ، أَنْ يَتَـوَلاَّك في الـدُّنيَا والآخِـرَةِ ،وأَنْ يَجْعَلَـكَ مُبَارَكـاً أَيْنَمَـا كَنْتَ ، وأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّن إذا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وإذا ابتُلِيَ صَـبَرَ ، وإذا أَذْنَبَ اسْـتَغْفَرَ ، فَـإنَّ هَـؤُلاَءِ الثَّلاَثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.**

اِعْلَم - أَرْشَدَكَ اللـهُ لِطَاعَتِـهِ - : أَنَّ الْحَنِيفِيَـةَ مِلَّةَ إِبْـرَاهِيمَ ، أَنْ تَعْبُـدَ اللـهَ وَحْـدَهَ مُخْلِصاً لَـهُ الـدِّيْن ، كَمَـا قَـالَ تَعَـالَى : ﴿ وَمَـا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُـدُونِ﴾ [الذريات:56].**فإذاعَرَفَت أنَّ اللهَ خَلَقَك لعَبَّادته فاعْلَمَ : أَنَّالعِبَادَةَ لاتسَـمَّى عِبَـادَةً إلامَـعَ التوَحِيَـد ،كَمَـاأنَّ الصَّـلاَة لاتسَـمّى صَـلاَة إلى مَـعَ الطَهَارة ،فإذادَخَل الشِّـرَك في العِبَـادَة فَسَـدت كالْحَـدَث إذا دَخَـل في الطَهَارة .فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّـركَ إِذَا خَالَـطَ العِبَـادَةَ أَفْسَـدَهَا ، وَأَحْبَـطَ العَمَلَ ، وصَارَ صَاحِبُهُ مِنْ الخَالِدِينَ في النَّارِ : عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيّـكَ مَعْرِفَـةُ ذَلِـكَ ، لَعَـلَّ اللـهَ أَنْ يُخَلِصَـكَ مِنْ هَـذِهِ الشَّـبَكَةِ وهِي : الشِّـركُ باللهِ ، الذَّي قَالَ تَعَالَى فِيهِ :﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِـرُ مَـا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَـاءُ﴾[النسـاء: الآية48] . وذَلِـكَ بِمَعْرِفَـةِ أَرْبَـعِ قَوَاعِـدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى في كِتَابِهِ.]**

[الشـرح] :

ابتدأ الشيخ– رحمه الله – هذه الرسالة المباركة بالبسملة وذلك لأمور هي :

أولاً : تأسياً بكتابِ اللهِ﴿حيثُ جاءتْ البسملةُ في بدايةِ كلِ سورة من سورِ القرآن عـدا سـورة براءة .

ثانياً : لأنَّ أولَ ما نزل من القرآن قولـه تعـالى : ﴿**اقْرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَـقَ ﴾ فطريـق التأسِّي به الافتتاح بالبسملة .**

ثالثاً: تأسياً بالنبي ﷺ حيثُ كان يبدأ مكاتباته ومراسلاته بالبسملة ،كما جـاء في صـحيح البخـاري في كتابه إلى هرقل وفيه : (**بِسْـمِ اللَّهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْـدِ اللَّهِ وَرَسُـولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى**...).

رابعاً: التبركُ و الاستعانة بالبداءة بالبسملة .

خامساً: إتباعاً للسلف الصالح رضوان الله عليهم كما هو صـنيع الإمـام البخـاري - رحمـه اللـه - في الصحيح (194-256)وهو من أتباع التابعين .

* درجَ كثيرٌ منْ أهلِ العلمِ عند شرحِهم للبسملةِ وبسببِ البداءة بها إيرادِ حديثِ أبي هريرة:(كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ ببسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، فَهُو أَقْطَعٌ)[1]، فهذا تعليل بالضعيف والتعليل بالضعيف عليل ، وآفةُ هذا الحديث كما قـالَ العلاَمـةُ الألبـاني–رحمـه الله– في [إرواء الغليـل (1/29)ـ]ـ :ـ "ـ **وهذا سند ضعيف جدا آفته ابن عمـران هـذا ويعـرف بـابن الجنـدي ترجمـه الخطيب " في تاريخـه " وقـال (5 /ـ 77) : " كـان يضـعف في روايتـه ويطعن عليه في مذهبه (يعني التشيع)** ".

* أستهل الشيخ – رحمه الله - هذه الرسالة المباركة بمقدمة ، هذه المقدمة قـد اشـتملت على خمس أمور :-

الأول: الدعاءُلطالب العلم.الثاني : بيانُ ملة إبراهيم .الثالث :بيانُ الغاية من خلق الخلق .

الرابع : بيانُ التوحيد و أهميته .الخامس : بيانُ الشرك وخطرهوضرره.

وهاك بيان ذلك :-

أولاً : الدعاء لطالب العلم :

قوله : (أسألُ الله الكَرِيم رَبّ العَرْش العَظِيم...)

بدأ الشيخ– رحمه الله- بالدعاء لطالب العلم متأسياً في ذلك بالنبي ﷺفكـان من هديـه و سـنته أن يدعو لطلبة العلم كما جاء في حديث عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه -أنّهﷺقـال:(**نَضَّـرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَـمِعَ فَـرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَـامِعٍ**) ، وقـال في دعائه لابن عباس – رضي الله عنه - :(**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**).

[1]() أخرجه الخطيب البغدادي في " الجامع لآداب الراوي والسامع " (2/128) .

ودعاء الشيخ - رحمه الله- لطلبة العلم دليل على حرصه على هداية الناس و إرادة الخير لهم و أنّه حريصٌ على سعادتهم ونجاتهم بخلاف الدعاة الحزبيين فإن همّهمالأكبر مصالحهمالشخصية فيجعلون من أتباعهم مطية لتحقيق مآربهم.

والشيخ هنا يجمع لطالب العلم بين فائدتين الأولى : يدعو له ، و الثانية : يعلمه ، والتعليم أيضاً من سنة النبي ودليل ذلك حياته كلها قضاها في العلم والتعليم وأوصى بطلبة العلم فقال : كما في حديث أبي سعيد الخدري : (**سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقْنُوهُمْ) [اقْنُوهُمْ أي : عَلِّمُوهُمْ] .**

وفي دعائه هذا بيانٌ لبعض آداب الدعاء :

1-الثناء على الله بين يدي الدعاء .

فإن قال قائل : ما الدليل على أن الثناء على الله بين يدي الدعاء من آدابه ؟

قلنا : الدليل سورة الفاتحة ،وأيضاً الحديث الذي أخرجه الترمذيعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍقَالَ : (**بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي ، فَقَالَرَسُولُ اللَّهِ : عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّيْتَ[1] فَقَعَدْتَ فَاحْمَدْ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ ...) .**

2- سؤال الله بربوبيته .

فإن قال قائل : ما الدليل على أنَّ سؤال الله بربوبيته من آداب الدعاء ؟

قلنا : الدليل النظر في دعاء الأنبياء:-

قال الله تعالى عن آدم : قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف :23].

وقال تعالى عن نوح : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا [نوح : 28]، والسرُ في سؤالِ اللهِ بربوبيتهأنَّ فيه إظهارٌ للانكسارِ والذّلِ وأنَّ العبدَ يسألُ منْ بيدِه أذمةُ الأمورِ .

3-سؤال الله بأسمائه وصفاته:

والدليل قوله تعالى: وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ... [الأعراف :180] ، والكريم من أسماء الله والدليل قوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** [**الانفطار :6]**وسؤال الله برب العرش العظيم من السنة والدليل قول النبي **في الدعاء عند الكرب: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)**و العرش أعظم المخلوقات وهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة لقوله تعالى: **وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** [**الحاقة :17].**

قوله : (أنيتولاّكفيالدُنْياوالآخَرَّة)

هذا دعاءٌ من الشيخ–رحمه الله - لطلبة العلم بأن يتولاهم الله في الدنيا والآخرة ، والولاية ولايتان :

الأولى : ولاية الله للعبد :وهي أن يجلب لك المنافع ويدفع عنك المضار، قال تعالى : اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة : 257]ـ .

يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ فيه إشارة إلي دفع المضار ، إِلَى النُّوُرِ فيه إشارة إلي جلب المنافع،وولاية الله للعبد ثمره لولاية العبد لربه .

---

[1]() قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : (صَلَاةُ اللَّهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ) [أخرجه البخاري] ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ للمؤمنين والدليل قول النبي : (الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىأَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) [متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة] ،والدليل على أن الصلاة في اللغةتعني الدعاء قوله تعالى : ... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [التوبة : 103] قال ابن كثير – رحمه الله - : (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ : ادع لهم واستغفرلهم) .

الثانية : ولاية العبد لله :هي الدوران مع أوامره فعلاً وتركاً. قال تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[الأعراف : 176] ، و الشاهد قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾:

والصالحون:جمع صالح :و هم الذين أقاموا ظواهرهم و بواطنهم على وفق ما أراد الله ورسوله ﷺ، فهؤلاء لما تولوا الله بصلاح العقائد وصلاح العبادة و صلاح الأخلاق تولاهم الله تبارك وتعالى .

قوله : (أنيتولاّكفيالدُنْياوالآخَرَّة) معناه أن يجلب لك المنافع الدنيوية و الدينية و أن يدفع عنك المضار الدنيوية والدينية .

قوله : (أنيتولاّكفيالدُنْياوالآخَرَّة) هذا دعاءبجوامع الكلم ، و هي دعوة ما تركت خيراً إلا شملته ولا شراً إلا عّمته .والدعاء بجوامع الدعاء من هديه ﷺ وسنته كما **قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنْ الدُّعَاءِ وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ)،و**قوله: (**اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**) ، وقوله لعائشة في دعاء ليلة القدر : (**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ** تُحِبُّ الْعَفْوَ **فَاعْفُ عَنِّي**) .

قوله : (وأنيجعَلَكَمبَأَرَكًاأَينَّمَاكنت)

* البركة ترجع إلي أحد معنيين بحسب اشتقاقها:

فإن قلنا : أنها مشتقة من البركة (مجمع الماء) فمعناها حينئذٍ الزيادة والنماء .

وإن قلنا : أنها مشتقة من بروك البعير فمعناها حينئذٍ الثبات و اللزوم .

فيكون معنى قوله : "أن يجعلك مبارك أينما كنت " : أي أن يجعلك ثابتاً على الحق ملازماً له في زيادةٍ ونماء منه ، أخذ هذه من قوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30)وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴾[مريم :30 -31] ﴿ **أَيْنَ مَا كُنْتُ** ﴾أي في حالك و ترحالك في دنياك و آخرتك ، وهذه الدعوة أيضاً من جوامع الدعاء فمن نالته هذه الدعوة حاز الخير كله.

قوله :(وأنيجعَلَكَمِمّنإذاأُعطَيَّشَكَرَ،وإذاأبتُّليصَبَّرَ،وإذاأذَنَبِاسْتَغَفَرَ) .

مراد الشيخ – رحمه الله –من هذا الدعاء أن ينبه طلبة العلم العبدلا خروج له عن طاعة الله في أوقاته كلها فما من حال يكون عليها العبد إلا و لله عليه فيها عبادة وعبودية يجب أداءها .

وهذه الأحوال تستغرق حياة المسلم كلها وعلى هذا فالشيخ – رحمه الله - يدعو لك أن تكون ملازماً لطاعة الله مودّياً لما أوجب الله عليكفي حياتك كلها .

الشكر

قوله :(وأنيجعَلَكَمِمّنإذاأُعطَيَّشَكَرَ)

هذا دعاء من الشيخ لطالب العلم أن يوفقه الله للشكر عند العطاء والشكر عبادة عظيمة وهي دأب الأنبياء قال الله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[الإسراء : 3] .

وقال تعالى حاكياً عن إبراهيم﴿: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[النحل : 120 -121] .

والشكر مع كونه عبادة فهو سبب في زيادة النعم وبقائها قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم : 7] ، وعدمه سبب في زوال النعم قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[النحل : 112] .

الشاهد من الآية :أن الله تبارك وتعالى منّ على هذه القرية بنعمتين عظيمتين هما قوام الحياة (الأمن –الرزق) فلمّا لم يقوموا بشكر بدّل الله حالهم وغيّر أوضاعهم وهذه سُنّة الله في خلقه قال تعالى :﴿ ... إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ...﴾[الرعد :11] .فجعل الله الجوع بدل ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا ﴾والخوف بدل﴿ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾. و بين الله السبب في ذلك قال

تعالى: بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ الباء سببية و(ما) موصولة بمعنى (الـذي)، والمعـنى بسـبب الـذي كانوا يصنعون.

تعريف الشكر :
الشكر لغةً: الاعتراف بالنعمة ، قال الفيروزآبادي:(الشكر هوعرفان الإحسان ونشره) .
واصطلاحاً:هو الثناء على المنعم بما أولاكه منْ نعم .
أما موارده فالقلب واللسان والجوارح ،كماقال الشاعر:

أفَادَتْكُمُ النّعْمَاء منِّي ثَلاثةً:* يدِي، ولِسَاني، وَالضَّمير المُحَجَّبَا**

فاليد: إشارة إلي الجوارح .
الضميرُ المحجبا :القلب.
فالشكر يكونُبالقلبِ خضوعاً و استكانتاً و باللسانِ ثناءً واعترافاً و بالجوارحِ طاعةً وانقياداً .
أركانُالـشكرِ :
1- الاعترافُ بالنعمة 2- إضافتُها للمنعم 3- صرفُها في طاعة المنعم
قال تعالى حاكياً عن سليمان : فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ [النمل : 9] .
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وهنا ركنان:1- (نعمة) الاعتراف بالنعمة،2- نعمة(ك) إضافتها للمنعم - عز وجل- .
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وهنا 3-صرفها في طاعة المنعم .

الصبر

قوله : (وإذاأبَتُّليصَبَّرَ)
هذا دعاء آخر من الشيخ - رحمه الله - لطالب العلم بأنْ يوفق لأداء عبادة الصبر عند البلاء ، والصبر عبادة أمر الله بها نبينا محمدقال عز وجل : وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ [النحل :127] .والأمر له أمر لنا بل إن الله تعالى أمرنا أمراً مستقلاً قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران : 200] .
تعريفُ الصبرِ :
والصبرُ لغة : الحبس ، ومنه في لغة العرب (قُتل فلان صبراً) : أي قُتل حبساً .
اصطلاحاً: حبس القلب واللسان والجوارح على طاعة الله وعلى أقدار الله وعن معصية الله .
وينقسم إلي قسمين :
1-صبرٌ محمودٌ: وهو حبس القلب واللسان والجوارح على طاعة الله وعلى أقدار الله وعن معصية الله ، قال تعالى : **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** [لقمان : 17] .
2-صبرٌ مذمومٌ: وهو حبس القلب و اللسان والجوارح عن طاعة الله وعن أقدار الله وعلى معصية الله ، قال تبارك وتعالى : وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ [ص : 6] .
والصبرُبحسب متعلقه ينقسم إلي ثلاثةِ أقسام:
1/ صبرٌ بالله :المراد به الاستعانةبالله على الصبر ،قال تعالى : وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ المعنى : لامعين لك على الصبر إلا الله .
2/صبرٌ لله : المراد به إخلاص الصبر لله ، قال تعالى : **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** [المدثر :7] .
3/صبرٌ مع الله : أي مع أمره ونهيه ، قال تعالى : **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** [مريم : 65] .

الاستغفار

قوله :(وإذاأذَنبِاسْتَغَفَرَ)
وهـذا دعـاء من الشـيخ– رحمـه اللـه - لطـالب العلم أنْ يوفقـه اللـه للاسـتغفار عنـد مواقعـة الذنوب.
الاستغفار :هو طلب المغفرة .
المغفرة : هي ستر الـذنب وإزالـة أثـره . و منهسُـمي المِغفرُمغفـراً؛ لأنَّه يسـتر الـرأس ويقيـه الضرب .
والشيخ في هذه الدعوات الثلاث أخـذ بقولـه كمـا في صـحيح مسـلم من حـديث صـهيب بن سـنان:(**عَجَبًـا لِأَمْـرِ الْمُـؤْمِنِ إِنَّ أَمْـرَهُ كُلَّهُ خَيْـرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَـدٍ إِلَّا لِلْمُـؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**).
وبهذا أصبحت القسمة ثلاثية فالشكر يكون عند السراء والصبر يكـون عنـد الضـراء فـإذا حصـل تقصيرٌ في الأمرين جُبِر بالاستغفار .
قوله :(فإنّهؤلاءالثلاثعُنْوانالسَعَادَة)
مرادهمن هذه العبارة - رحمه الله تعالى - أنَّ منْ وفق لتحقيق هذه المقامات الثلاث كـان هـذا دليل سعادته في الدنيا والآخرة.
قوله: (اِعْلَم أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ : أَنَّ الْحَنِيفِيَةَ مِلَّةَ إِبْـرَاهِيمَ : أَنْ تَعْبُـدَ اللـهَ وَحْـدَهَ مُخْلِصـاً لَـهُ الدِّيْن ...)
قوله: (اِعْلَم)كلمة يؤتى بها للدلالة والبيان و التنبيه على أهمية ما سيأتي بعدها ،وهي أمر بتحصيل العلم والتهيؤ له ، فإذا سمعها طالب العلم فالواجب عليه أن يكون حاضراً بسمعه وقلبه و بجميع حّواسه ؛لما سيلقى بعدها من مهمات الأمور والعلوم ، وأخذ ذلك من قوله تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...[محمد : 19] .
قوله: (أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ)جملة دعائية معترضة.
قوله : (أَرْشَدَكَ) : أي ألهمك رشدك وهداك ، والرشدو الهـدى كالإسـلام والإيمـان إذا اجتمعـا لفظاً افترقا معناً و إذا افترقا لفظاً اجتمعا معناً ، و الرشد هو العلم بما ينفع ، والهدى العمـل به .
و الهـدايـة ثـلاثـة أنـواع :
1-هداية الدلالة والبيان : ومعناها بيان سبيل الخير وسبيل الشر كما قـال تعـالى: **وَهَـدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** [1] : أي وضـحنا وبينـا طـريقي الخـير والشـر ، و هـذه عامـة للـه و لرسـوله وللعلماء و الدعاة إلى الله كما قال تعالى : وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ... [فصلت : 17] ،وقال تعالى : ... إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَـادٍ [الرعـد : 7] .
2-هداية التوفيق و الإلهام : و هذه خاصة بالله تعـالى فهـو وحـده سـبحانه وتعـالى الـذي يهـدي قلوب عبادهِ للاستقامة على دينه وعلى طاعته، وقد نفى اللـه عـز وجـل هـذه الهدايـة عن نبيـه وذلك في قوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [القصص : 56] ،فإذا كانت هذه الهداية منتفية عن النبي فغيره من باب أولى .
3-هدايةُ الثبات على الطاعة وترك المعصية ، والراجح أنها تدخل في الهداية الثانية .

إشكال :

قوله : (أَرَشَّدَكَاللهلطاعَته...)، فيه إشكال مورده ما أخرجـه الترمـذي من حـديث أُبى بن كعب **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ : (كَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا فَدَعَا لَهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ**).
والجواب على هذا الإشكال من وجهين :-الأول : أنْ الأمرَفي ذلك واسعٌ فقد ثبت عن النبي في غير ما حديث أنّه دعا لغيره ولم يدع لنفسه كما في دعائه لابن عباس، قال: (**اللَّهُمَّ فَقِّهُّ**

[1]() **قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: طَرِيقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالَةِ، كَقَوْلِهِ:إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا تفسير البغوي (8/431) .**

فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ) ،و قال :(**رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**) ، وقال : (رحم الله لوطاً كان يأوى إلي ركنٍ شديد) .
الثاني : أنَّ الدعاء للنفس دعاء للغير لقول النبي : (**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ : آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**) .
قوله : (لطاعَتِه)
الطاعة: فعل المأمور وترك المحظور على وجه الاختيار ، وهذا الدعاء يشمل أنواع الهداية .
قوله : (أَنَّ الْحَنِيفِيَةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ)أي طريقته ودينه .
(**الْحَنِيفِيَةَ**) : هي بيت القصيد . الملة :الدين.
وهذه الملة أمر رسولنا بإتباعها قال تبارك وتعالى : ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [النحل : 123] والأمر له أمر لامته ، بل قد أمر الله الأمة أمراً مستقلاً قال عز وجل: قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [آل عمران : 95] .
بل بّين الله سبحانه أنه لا يرغب عنها إلا السفهاء قال تبارك وتعالى : وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [البقرة : 130] .
الحنف لغةً: الميل ، **ومنه قول أم الأحنف بن قيس:**
وَاللَّهِ لَوْلَا حَنَفٌ بِرِجْلِهِ* مَا كَانَ فِي فِتْيَانِكُمْ مِنْ مِثْلِهِ** .

وشرعاً : له عدة تعريفات هي :
الأول :هو المقبل على الله المعرض عّما سواه .
الثاني :هو القائم بالتوحيد التارك للشرك و التنديد .
الثالث :هوالمائل عن الشرك قاصداً إلي الله .
الرابع :هو معنى : لا إله إلا الله .
الخامس :هو تعريف الشيخ محمد بن عبد الوهاب– رحمه الله - : (أن تعبد الله مخلصاً له الدين).
و هذه العبارات مختلفةٌ في ألفاظها متفقةٌ في معناها وقد جاءت كثير من الآيات تحمل هذا المعنى ، كقوله تعالى : وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ [الزخرف : 26 -27] ، وقوله تعالى حاكياً عن يوسف : ... إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37)ـ **وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ...**[يوسف : 37 -38] .
مَا كَانَ في الآية ، تأتي على معنيين :
الأول : النفي الثاني : النهي
قوله: (كَمَا قَالَ تَعَالَى : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذريات:56])
مَا :نافية .
خَلَقْتُ :أوجدت من العدم .
الْجِنَّ :عالم غيبي مخفي عنا ، و مادة الـ (ج.ن) في لغة العرب تدل على الخفاء و الاستتار نقول :جنّ الليل إذا ستر الأشياء بظلامه ،والمجنون لاستتار عقله ، والجنين :لاستتاره ببطن أمه ، والجنة لاستتار ما بداخلها بالأشجار .
وَالْإِنسَ : المراد بهم بنو آدم وسمو أنساً من الإيناس وهو الرؤيا و الإحساس ، وقدم ذكر الجن على الإنس لتقدم خلقهم قال تعالى وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ [الحجر : 26 -27] .
إِلَّا: أداة استثناء .
لِيَعْبُدُونِ : اللّام :للتعليل ، والتعليل هنا للغاية بمعنى أن الله خَلقهم لعبادته فقد يعبدون و قد لا يعبدون ، ومثله قاله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ ... [النساء : 64] فقد يطاع وقد لا يطاع .
وفي هذه الآية حصر الغاية من خلق الجن والإنس في العبادة و وجه الحصر [الاستثناء المسبوق بالنفي] وهذا ردٌ على من قال : أن الدنيا خلقت من أجل النبي .

 لِيَعْبُدُونِ : أي ليوحدون هذا تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد سبقه البغوي في ذلك ، وقال مجاهد : إِلَّا لِيَعْبُدُونِ :إلا لآمرهم وأنهاهم وهذا هو اختيار شيخ الإسلام بن تيمية وهذا هو التفسير الراجح ؛ لأن التوحيد يدخل في جملة الأوامر والشرك يدخل في جملة النواهي ، و هذا هو الشاهد للحنيفية ، والحنيفية : هي عبادة الله وترك ما سواه .

العِبَادَة

العبادة لغةً: الذُّلُ والخُضُوعُ؛يقال : طريقٌ مُعَبَّدٌ : إذا كان مُذَلَّلاً بوَطْئِ الأقدام.
ومنه قولَ طَرَفَة بنِ العَبْد في معلقته :

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجياتٍ وأَنْبَعت * وَظِيفًا وظيفًا فوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ**

معنى البيت :
(تُبَارِي): تُسابق ، (العتاق) : النوقالكرام ، (الناجيات) : السريعات ، (الوظيف): عظمالساق ، (المعبد) : المذلل.
اصطلاحاً : تعّرف باعتبارين:
1- باعتبار المتعبد به (أي أفراد وأنواع العبادة):
وعلى هذا الاعتبار تعرّف بتعريف شيخ الإسلام بن تيمية –رحمه الله - :
وهو أن العبادة :اسمٌ جامعٌ لكلِ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة و الباطنة.
شرح التعريف :
(اسم) : لدخول (ألـ) .
(جامع) :أي يحوي أشياء كثيرة .
(لكل ما) : (ما) موصولة بمعنى (الذي) تفيد العموم .
(يحبه الله ويرضاه): وكيف نعرف بأنّ الله– عز وجل - يحب هذا العمل ويرضاه؟
الجواب : إذا أمر به أمر إيجاب أو أمراستحباب أو أثنى على فاعله.
(من الأقوال): و الأقوال عند أهل السنة نوعان :
النوع الأول :الأقوال الباطنة : المراد بهااعتقاد القلب و تصديقه وإقراره ، والدليل قوله تعالى : **... فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ** [يوسف : 77] ،و حديث أسامة بن زيد **قال: (بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنْ السِّلَاحِ قَالَ : أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ ...) [أخرجه مسلم في بَاب تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ] .**
النوع الثاني **:** الأقوال الظاهرة **: كالأذكار والتلفظ بالشهادتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .**
وكذلك الأعمال عند أهل السنة تنقسم إلى قسمين :
الأعمال الباطنة **: كالخوف والخشية والخشوع والصدق والإخلاص أي الأعمال الغيبية.**
الأعمال الظاهرة **: كالصلاة والصوم والحج والزكاة...الخ .**
2/ باعتبار التعبد : (أي فعل العبادة) :
وعلى هذا الاعتبار**تعّرف بتعريف شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - كماقال في نونيته :**

وعبادة الرحمن غاية حبه *** مع ذل عابده هما قطبان

أي : هي غاية الذل مع غاية المحبة و التعظيم .
قال القرطبي–رحمه الله - : (وسميت وظائف الشرع عبادات لأنهميلتزمونها و يفعلونها خاضعين متذللين لله).
فالعبادة باعتبار التعبد هي: الذل والخضوع مع غاية المحبة والتعظيم .
قوله: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ) من أين حصلت المعرفة؟

الجواب **:من الآية وفي هذا بيان طريق السلف فإنهم يستدلون أولاً ثم يعتقدون بخلاف أهل البدع الذين يعتقدون ويعبدون ثم يبحثون عن ما يبررون به معتقدهم وعباداتهم .**

قوله :(فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إلاَّ مَعَ التَّوحِيدِ)

مراد الشيخ- رحمه الله - بيان أهمية التوحيد وأنه الأساس في قبول الأعمال و أن من عبد الله بلا توحيد بمنزلة من لم يعبد الله ،ثم أتى الشيخ بمثال يريد به تقريب هذه الحقيقة إلي الأذهان هو اشتراط الطهارة لصحة الصلاة ، فالذي يصلي بغير طهارة لا يسمى مصلياً وفعله لايسمى صلاة ، كذلك الذي يعبد الله بغير توحيد فإنْ فعله لايسمى عبادة قال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ ...﴾[التوبة : 54] .

*** والمثال الذي أتى به الشيخ- رحمه الله - أراد به التقريب وإلا فإنَّاشترط التوحيد آكد من اشتراط الطهارة للصلاة ؛ لأنَّ الإنسان ربما صلى بغير طهارة لعذرٍ ما ، وأما التوحيد فعمل قلبي لا يتخلف .**

* التوحيد*

التوحيد لغةً **: مصدر (وحدَ يوحدُ توحيداً) ؛ لأنَّ مبناه على أنْ الله واحدٌ في ملكه لاشريكَ له وواحدٌ في ألوهيته وعبادته لاند له وواحدٌ في أسمائه وصفاته لا نظير له .**

واصطلاحاً **: هو إفرادُ اللهِ عز وجل بما يختص به من الربوبية و الألوهيه و الأسماء والصفات .**

أقسامالتوحيد **:**

1-توحيد الربوبية: **وهو إفراد الله بأفعاله، والإقرار به وحده لا يكفي في للدخول في الإسلام وهذا النوع من التوحيد لم تقع فيه الخصومة ولو كان الإقرار بهذا النوع يكفي لكان إبليس وفرعون وأبو جهل من جملة أهل الإيمان،وهذا النوع من أدلة توحيد الألوهية .**

2-توحيد الألوهية : **هو إفراد الله بالعبادة ، أو إفراد الله بأفعالنا ، وهذا الذي بُعثت الرسل لتقريره وهو الذي وقعت فيه الخصومة، وهو الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع والدليل قوله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل : 2] . وقولة تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء : 25] و إلى غير ذلك من الآيات .**

3-توحيد الأسماء والصفات **: وهو إفراد الله بأسمائه وصفاته ، وأنه لا شبيه له فيها كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .**

*** لم ينص دليل على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام بل هذا التقسيم استنتجه العلماء الربانيون بالاستقراء والتتبع كما هو الحال في بقية التقسيماتمثل شروط الصلاة وأركانها وواجباتها ، وأركان الحج ... إلخ .**

سؤال : ما هو تعريف الاستقراء و التتبع ؟

الاستقراء والتتبع **: هو استظهارنصوص الشريعة واستحضارها وتتبع النصوص نصاً نصاً .**

*** ومن الآيات الجامعة لهذه الأقسام قوله تعالى :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.**

﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ هذا توحيد الألوهيه ، ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ توحيد الربوبية ، ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾توحيد الأسماء والصفات.

ما هي العلاقة بين أقسام التوحيد ؟

***العلاقة بين توحيد** الربوبية **وتوحيد** الألوهية **علاقة** تلازم .
أي أن من وحد الله في ربوبيته لزمه أن يوحده في ألوهيته .
* **العلاقة بين توحيد** الألوهية **وتوحيد** الربوبية **علاقة تضمّن .**
أي أن من وحد الله في ألوهيته تضمن ذلك الإقرار له بالربوبية .
* **العلاقة بين توحيد** الأسماء والصفات بالربوبية والألوهية **علاقة** شمول.
أي أن توحيد الأسماء والصفات يشمل توحيد الربوبية والأسماء والصفات .
قوله :(فإذا دَخَلَ الشِّركُ في العِبَادَةِ فَسَدَتْ ، كالحَدَثِ إذَا دَخَلَ في الطَّهَارَةِ)
مراد الشيخ – رحمه الله - من ذلك أن يبّين أن العبادة لا تنفع مع الشرك و لو صدر الشرك من أفضل الناس لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾،وفي الآية فائدة **هي أن الشرك يحبط العمل في ديننا وفي الأديان التي قبلنا . قوله تعالى في الآية :﴿ عَمَلُكَ ﴾ : المراد بها كل العمل والمبرّر أن[المفرد إذا أضيف عم] (قاعدةأصولية)والدليل قوله تعالى:﴿ ...وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ...﴾ ومثله قول الله عز وجل :﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ...﴾**فنعمة **مضاف وكذلك** عبد **فلما أضيفت إلي (التاء) و(الهاء) عمت كل النعم وكل العباد. وفي هذه الآية** خطاب لأفضل البشر.
ومن الأدلة على أن الشرك يفسد العبادة **قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ...﴾ .**
الشرح : **فكما أن الريح لا تُبقي من الرماد شيئا فكذا الشرك لا يبقي من الأعمال شيئا.**
وقال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، هنا صورتان :
الصورة الأصلية **:صورة إنسان بلغ به العطش كل مبلغ في صحراءٍ جرداء في منتصف النهار فينظر فيرى سراباً فيظنه ماءً ، ومع شدّة العطش وشدّة الحوجة إلي الماء فينطلق إلي مكان السراب فلا يجد شيئا كذلك المشرك تصوّر له الأعمال يوم القيامة فهو في شدة الحاجة إليها كشدة الحاجة إلي الماء فالله يبين أن الذي يجده المشرك من أعمال سيجده العطشان من الماء فبالتالي لا يجد من أعماله شيئاً .**
والدليل على أن الشرك يخلّد صاحبه في النار قوله تعالى: ﴿ ... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ .
* **تبني على معرفة ضرر الشرك معرفةأخرى ، وقد أشار إليها الشيخ بقوله : (أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ) :أي أهم ما يجب عليك ، لأن (على) من صيغ الوجوب ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا...﴾ و أيضاً : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ .**
قوله: (مَعْرِفَةُ ذَلِكَ)**الإشارة هنا إلي التوحيد وناقضه الشرك .**
قوله : (لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ وهي الشرك بالله)
يعني بعد العلم والبحث والتنقيب و معرفة الشرك و وسائله المفضية إليه وبعد الدّعاء،عسى الله أن(يخلصك)أي { ينجيك } (من هذه الشبكة) التي هي الأولى من شباك الشيطان وهي الشرك بالله ،وشباك الشيطان التي يسعى جاهداً في إيقاع المسلمين فيهاهي**:-**
الشبكةالأولي**: وهي الشرك وهذه من دخل فيها تمت خسارته وأحاطته الهلكة وهي المقصود الأعظم للشيطان لانه يضمن بذلك مصاحبتهم له أبد ألآباد .**
الشبكة الثانية **: وهي شبكة البدع والمحدثات وهذه أقل خطراً من سابقتها وأعظم ضرراً من لاحقتها .**

الشبكة الثالثة **:وهي شبكة المعاصي و الكبائر ، وكلا الشبكتينالثانيةوالثالثة : بوابة للشبكة الأولي قال تعالي : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم ﴾ ، قال الأمام أحمد : الفتنة الشرك .**
الشبكة الرابعة **: وهي صغائر الذنوب والمعاصي .**
الشبكة الخامسة **: وهي الإكثار من المباحات .**
الشبكة السادسة **:وهي تقديم المفضول على الفاضل .**

الشِّركُ

الشـرك لغـةً**: مصـدر (أشـركَ ، يشـركُ، شـركاً أوإشـراكاً)وأشـركته أي جعلتـه شريكي ، ومنه قوله تعالي :﴿ هَارُونَ أَخِي أَشُدُد بِهِ أَزَرِي و أَشرِكهُ في أَمَري﴾، و شركته وشاركته أي أصبحتُ شريكه .**
ومـدار مـادة **(الشـين ، الـراء ، الكـاف)على الخلـط والضـم ،** وقيل**: هـو خلـط الملكين ،**وقيل**:هـو أن يوجـد شـيء لشخصـين فصـاعداً عينـاً كـان ذلـك الشـيء أومعـني كاشـتراك زيـد و عمـرٍو في صـوت أو طـول أو ...الخ، ولا يشـترط في الشركة تساوي الملكين .**
الشرك اصطلاحاً **: هو مساواة غير اللـه باللـه فيمـا هـو من خصـائص اللـه ، وهـذا التعريـف مـأخوذ من قولـه تعـالى : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَـلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : 97-ـ 98] وقوله تعـالى :﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام : 1] .**
*وينقسم الشركإلي قسمين :
1 -شركٌأكبـر **: وهو مساواة غير الله بالله مساواةً دلت الأدلّة علي أنها تخـرج من الملّه .**
2- شركٌأصغر**: وهو مساواة غير الله بالله مساواةً دلت الأدلة علي أنها لاتخرج من الملّه .**
* الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر :
أ- الشرك الأكبر يخرج من الملة * الشرك الأصغر لا يخرج منها**
د-الشرك الأكبر يخلد في النار * الشرك الأصغر لا يخلد في النار**
ج- الشرك الأكبر يحبط الأعمال جميعاً * الشرك الأصغر لايحبط الأعمال جميعاً إلا في الرياء فإنه يحبط العمل المراءى فيه .**
* اختلفأهل العلم **في قوله تعالي :﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء...﴾ في من لقي الله على شيء من الشـرك الأصـغر هـل يكـون تحت المشيئة أم أنّه لابد أن يعذب ثم يدخل الجنة** علـي قـوليـن :
قال أصحاب القول الأول**: لابد أنْ يعذب واستدلوا بالعموم في قوله تعـالي :﴿ إِنَّ اللّـهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ...﴾ ووجه العموم أنَّ :{ أن وما بعدها تؤول بمصـدر مـؤول وهو أن يشرك : (اشراكاً أو شركاً) } فتصبح الآية { أن الله لايغفر شركاً به } { أو اشراكاً به }**
و(شركاًأو اشراكاً) نكره في صياغ النفي تفيد العموم ،قالوا : هذه الأيه عامة في الشركين الأصغر والأكبر فالله لايغفره .
وقال أصحاب القول الثاني**: هذه الآية عامة؛ لكنها من العـام الـذي أريـد بـه الخصـوص فهي عامة في الشرك ، ولكن يُراد بها خصوص الشرك الأكبر .ومثلها قول اللـه تعالى :﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُـؤْمِنُ كَمَـا آمَنَ السُّـفَهَاء...﴾ فالنـاس : عـامة ؛ لكن أريد بها خصـوص الصـحابة رضـوان اللـه عليهم ، بـدليل قوله تعالي :﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّـهُ عَلَيـهِ الْجَنَّةَ ... ﴾ وقولـه :﴿ ... لَئِنْ أَشْـرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُـكَ...﴾، فهـذان عمومـان أريـد بهمـا خصـوص الشـرك الأكبر .**
نقول لهم : لزمكم **تخليد صاحب الشرك الأصغر في النار و إحباط عمله .**
فإنْ قالوا **:التزمنا باللاّزم .**

قلنا لهم : **وهل في الشريعة شركٌ أصغرٌ وشركٌأكبرٌ ؟**
فأن قالوا:**{لا} ، أتيناهم بالدليل: حديث النبي : (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ) [أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث محمودبنلبيد]، وبهذا ثبتبطلان مذهبهم وثبت أنّ الراجح أنّ الشرك الأصغر تحت المشيئة كالذنوب والمعاصي .**
قوله : (وذَلِكَ)**الإشارة هنا إلىالتَّخَليص من شبكة الشرك.**
قوله :(بمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ) **أي أن هذه القواعد أساس في طريق الخلاص من الشرك .**
قوله : (ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىفي كِتَابِهِ) **: مراده أنَّ هذه القواعد الأربع مستخلصة من كتاب الله وهذا ماتتميز به مؤلفات الشيخ - رحمه الله - أنّهُ لا يذكر مسألةًولايقرر تقريراً إلا وأعقبه بقوله : (والدليل قوله تعالى) .**

القاعِدَةُ الأوَلَى

[المَتْن] :

قَوْلاَلمَصَنَّف - رَحِمَهاللهُ -**: [(**القَاعِدَةُ الأُولَى : أنْ تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَارَ الذينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ مُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ تَعَالَى هو الخَالِقُ المُدَبِرُ ، وأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُم في الإسْلَامِ .و الدليلُ قَولُهُ تَعَالَى: قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السّمَآءِ وَالأَرْضِ أَمّن يَمْلِكُ السّمْعَ والأبْصَارَ ، وَمَن يُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيّتَ مِنَ الْحَيّ ، وَمَن يُدَبّرُ الأمْرَ ، فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتّقُونَ [يونس : 31]**)] .**
[الشرح] :
هذه القاعدة أوردها الشيخ رحمه الله تعالى ليدفع بها شبهة ويقرر العقيدة الصحيحة .
أما الشبهة فهي**: أن الكثير من القبوريين والعابدين لغير الله يقولون لأهل التوحيد : كيف تحكمون علينا بالشرك ونحن نقر بأن الله هو الخالق الرازق المدبر ... وغيرها من الربوبية فأحالوا بذلك معنى { لا إله إلاالله } ، إلى { لاخالق ولارازق ولامدبر إلا الله} ، وظنوا أن التوحيد الذي أراده الله من عباده هو توحيد الربوبية وأن من جاء به جاء مسلم معصوم المال والدم ، فأورد الشيخ - رحمه الله - هذه القاعدة ليبين بطلان ماذهبوا إليه وليقرر الحق في هذه المسألة .**
ووجه الرد**: أنْ نُعْلِمَ هؤلاء أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله كانوا يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر مع كونهم يعبدون الله بأنواعٍ من العبادات و من هذه العبادات:**
الأولى **:** الصلاة **، والدليل قوله تعالى : وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ... [الأنفال :35] .**
الثانية **:** الصيام**، والدليل حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصُومُ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .) [أخرجه مسلم].**
الثالثة **:** الحج **، والدليل حديث عبدالله عباس رضي الله عنهما قال : (كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ : لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ،قَالَ: فَيَقُولُ : رَسُولُ اللَّهِ وَيْلَكُمْ قَدْ قَدْ ، فَيَقُولُونَ : إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ) [أخرجه مسلم].**
الرابعة **:**النذر و الاعتكاف **، والدليل حديث عبد الله بن عمر : (أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ النَّبِيَّ قَالَ : كُنْتُ نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، قَالَ : فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ) [أخرجه البخاري]**

الخامسة : إطعام الطعام وسقاية الحجيج ، **والدليل قول الله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[التوبة : 19] . وغير ذلك من العبادات و القربات ،ولكن هذا كله لم يدخلهم في الإسلام، ولم يعصم أموالهم ودمائهم .**

وبعد استعراض حال المشركين تبقى لأصحاب الشبهة أمرين لا ثالث لهما:

الأول :**أنْيحكموا علي أبي جهل وأبيّ بن خلف و أبيلهب و أضرابهمبالإسلام، ويكونوا بذلكمكذبينللقرآن الكريم .**

الثاني :**أنْ يرجعواعن باطلهم ويعترفوا أنّ الإقرار بالربوبية لله وحده لا يكفى للدخول في الإسلام .**

قوله :[والدليل قوله تعالى : **﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾] .**

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ ﴾ هذه في الرِّزق .

﴿ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ هذه في الإحياء والإماتة والخلق .

﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ وهذه في التدبير .

﴿فَسَيَقُولُونَ اللّهُ ﴾ في هذه الفقرة هذا جوابهم على الأسئلة فإنّهم لم يقولوا [اللات] ولا [العزى] ولا [مناة] ، وإنما أسندوا و أضافوا جميع ذلك إلى الله ولمّا كانوا مقريِّن بذلك احتجَّ الله عليهم بما أقروه من الربوبية على ماأنكروه وجحدوه من الألوهية.

قوله تعالى : **﴿ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾**له معنيان :

الأول : **﴿ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾الله فتوحدونه في ألهويته كما وحدَّتموه في ربوبيته.**

الثاني : **﴿ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾الشرك بالله فيألوهيته وأنت تعلمون ألا شريك له في ربوبيته .**

من فوائد هذه القاعدة :

الأولى: **أن التوحيد الذيأراده الله من العباد هو توحيد الألوهية، وشاهده ﴿ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾،قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ولم يقل (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أني أنا الخالق الرازق المدبر المحيى المميت المصرف ...) وإنما قال [أن أعبدوا] .**

الثانية : **أن توحيد الربوبية لايكفي في الدخول في الإسلامولايعصم المال ولا يعصم الدم كذلك .**

الثالثة : **معرفة حقيقة دين المشركين { إقرار لله بالربوبيةوإشراك به في الألوهيه } .**

الرابعة : **معرفة حقيقة دين المرسلين {عبادة الله وترك عبادة ما سواه } .**

الخامسة : **خطا من فسَّر لا اله إلا الله بـ { لا خالق لا رازق إلا الله} ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى قال عن المشركين : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَلَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ مع أنّهم كانوا يقرّون بالربوبية دلّ ذلك علي أنَّ{ لا إله إلا الله } لها معني آخر قد استكبروا عنه وهو{لا معبود بحق إلا الله }.**

القاعِدَةُ الثانِيَةُ

[المَتْن] :

قَوْلالَمَصَنَّف - رَحِمَهاللهِ -: **[(القَاعِدَةُ الثَّانِيةُ : أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوجَّهنَا إِليهِم إِلاَّ لِطَلَبِ القُربَةِ وَالشَّفَاعَةِ .فَدَلِيلُ القُرْبَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر :3] . ودَلِيلُ**

الشَّـفَاعَةِ قَوْلُـهُ تَعَـالَى : ﴿ وَيَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَـا لا يَضُـرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾[يونس : 18] .

والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ : شَفَاعَةٌ مَنْفِيَـةٌ ،وشَـفَاعَةٌ مُثْبَتَـةٌ .فالشَّـفَاعَةُ المنفِيَـةُ: مَـا كَانت تُطْلَبُ مِنْ غَيرِ اللهِ فيمَا لا يَقْدِرُ عَليهِ إلّا اللـهُ .والـدَّلِيلُ قَولُـهُ تَعَـالَى: ﴿ يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[البقرة : 254].وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَـةُ هِي: الـتي تُطْلَبُ مِنْ اللهِ . والشَّافِعُ مُكْرَمٌ بالشَّفَاعَةِ ، والمَشْفُوعُ لَـهُ مَنْ رَضِـيَ اللـهُ قَولَـهُ وعَمَلَهُ بعد الإذنِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِـهِ﴾ [البقـرة : 255])].

[الشـرح] :

وهذه القاعدة فيها من المناسبة أنّ الطـالب إذا درس القاعـدة الأولى عـرف أنّ المشركين كانوا يقرون لله عز وجل بربوبيته تولـد عنـده سـؤال **:مـا الـذي جعـل المشركين يعبـدون غـير اللـه ؟ مـا السـبب الحامـل لهم على هـذا ؟ وبيـان هـذا السبب يدفع شبهة أحتج بها القبوريون والخرافيون في قديم الدهر وحديثه .**

وشـبهتهم هي**: أنَّهم يبررون عبـادتهم للأنبيـاء والأولياءوالصـالحين بـأنَّهم يريـدون القربةوالشـفاعةمن الله، ولكنَّهم مـذنبون ومقصـرون والصـالحون قريبـون من الله ولهم جاه ومنزلةٌ عند الله ! .**

وردُ هذه الشبهة**أنْ يقال لهم : أنّ صنيعكم هذا هو عين صـنيع المشـركين الأوَّلين الذي أوجب كُفرهم .**

قوله: (فدليل القربة)

يعني الدليل علي الأولين توجهوا لغير الله بالعبادة يريدون بذلك القربـة قولـه تعـالي : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَـذُوا مِن دُونِـهِ أَولِيَـاء ...﴾. ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ : اسـم موصـوليفيد العمُوم، وهو عام في المتْخِذين ، ﴿ مِن دُونِـهِ ﴾: عامـه في كـل من سـوى اللـه ، وهي عامه المتْخَذين .

*** هذه الآية فيهـا دليـل علي أنْ الأولين أعـرف بمعـني العبـادة من المتـأخرين ؛ لأنهم سمّوا مايتوجهون به إلي معبـوداتهم عبـادة والمتـأخرون يسـمونّه توسَّـلاً أو محبةً للصالحين .**

وفي هذه الآية عدة فوائد :

الأولى **: أنّ الأولين يوحدّون الله في ربوبيتـهِ ؛ لأنهم بينـوا السـبب الحامـل لهم علي عبادة غير اللهِ بأسلوب الحصر (الاستثناءالمسـبوق النفي) ﴿ مَـا نَعْبُـدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾: أي لالأننا نعتقد أنهم ينفعون ويضرون أو يرزقون أو**

يخلقون بخلاف المتأخرين فإنهّم يشركون بالله في ربوبيته.

الثانية **:فيها إبطال القاعدة الكافرة وهي: {أنَّ الغايةَ تبررُ الوسيلة }؛ ولـو كـانت القاعدة صحيحة لصحّ عملهم .**

الثالثة**:أن النية الحسنة لا تبرر العمل السيئ .**

قوله تعالى **: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:**

﴿ مَا ﴾: موصولَة بمعنى (الذي) تفيد العموم.

﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ :أي بين المتخَذين والمتخِذين ، وقيل: بين المشركين والموحدين .

قوله تعالى**: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾:**

قال الشيخ السعدي**– رحمه اللـه –: [﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْـدِي ﴾ أي: لا يوفـق للهدايـة إلى الصراط المستقيم ﴿ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما اتصف به، ويريه اللّه الآيات، فيجحدها ويكفـر بها ويكذب، فهذا أنَّى له الهدى وقد سد على نفسه الباب، وعوقب بأن طبع اللّه على قلبه، فهو لا يؤمن؟][1].**

---

[1]()تيسيرالكريمالرحمنفيتفسيركلامالمنان(1/ 717)ط . مؤسسةالرسالة .

و الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب هذاالاعتقاد بوصفين :
الأول : **أنّهم كَذَبَة ، ووجه كَذِبِهِمْأنهم اعتقدوا أن الله لا يوصل إليه إلا بواسطة .**
الثاني : **أنّهم كَفَرَة ، ووجه كفرهم أنهم صرفوا العبادة لغير الله .**
قوله : (ودليل الشفاعة)
أي والدليل على أن الأولين توجهوا لغير الله بالعبادة يريدون الشفاعة.
قوله تعالى :﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ** ﴾:
الفائدة إبطال **عبادة غير الله فإنَّ كل من سوى الله لا ينفع ولا يضر فتكون العبادة لمن يملك النفع وكشف الضر .**
الشفاعة لغةً **:مأخوذة من الشَفع وهو الزوجلأن صاحب الحاجة واحد فأنضم إليه غيره فصارا شفعاً ، فسميت شفاعة(أي زوجاً) .**
الشفاعة في الشرع : **التوسط بالغير في جلب منفعة أو دفع مضرَّه .**
والشفاعة عند الخلق قسمان :
1- شفاعة حسنة **2- شفعة سيئة .**
قوله:(والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ : شَفَاعَةٌ مَنْفِيَةٌ ،وشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ)
الشفاعة المنفية **: هي التي كان يعتقدها المشركون بأن غير الله يشفع استغلالاً من دون مراعاة لشروط الشفاعة وقيودها ، ودليلها قولهم : ﴿ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ فجاؤا باسم الإشارة للتعيين ، فأتوا باسم دون أن يتحققوا من رضى الله عز وجل عنهم ومن إذنه لهم ،** والدليل **على أنها منفية (وَلاَ شَفَاعَة)** نكرة **في صياغ النفي تفيد** العموم **ولو لم ينِّزل الله آية سوى هذه الآية لكانت جميع الشفاعات منفية ، لكن جاءت أدلة أخرى استثنت الشفاعة بعد الأذن و الرضا من عموم هذا النفي .**
الشفاعة المثبتة **: هي التي يراعى فيها شروط الشفاعة وقيودها .**
قول تعالى:﴿**... وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ **: هذا مبتدأ[الْكَافِرُونَ] محصور في خبره [الظَّالِمُونَ]، المعنى : لا أحد أظلم ممن لقى الله كافراً ، وأتى بضمير الفصل (هم) الدال على التوكيد .**
والمراد بقوله **:﴿... وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ **: أنَّ الله جلّ وعلا لم يمنعهم الشفاعة ظلماً منه لهم وإنمَّا هم الذين ظلموا أنفسهم**
لأنهّم طلبوا الشفاعة بالشرك ، فقد قال النبي ﷺ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)[أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ]**.وقال الله تعالي عن الكفار :﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾، وقال: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ .**
شروط الشفاعة :
الأول :الإذن،والدليل**قوله تعالي : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾؟ هذا استفهام مشوب بالنفي والتحدي**والمعني **:ائتونيبأحد يشفع بلَا إذن فإنه لا أحد يشفع إلا بعد الإذن .**
الثاني **:** الرضى عن الشافع،والدليل **قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى ﴾ .**
الثالث **:**الرضى عن المشفوع، والدليل **قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ... ﴾ .**
*** والرضاالذي يشترط هو الرضى عن توحيده ومعتقده كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال : (قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ [أَوْنَفْسِهِ]).**

والدليل **على أنالشفاعة ملكٌ لله قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾**، وهــذه الآية فيها فائدتان **:**
الأولى : **أن الشفاعة لله .**
الثانية :**أنّها أقسام .**
فإذا ثبت أنّالشفاعة ملـك للـه فـإن طلبهـا من غـيره شـركٌ ؛ لأنـه طلبهـا ممن لايملكها .
سـؤال :
إذا كان الله يريدُ أن يُدخل فُلان الجنة أو أن يرفعَ درجته ،فلم الشفاعة ؟
الجواب :
1- أنْ يظهر جاهه عند الله ومنزلته .
2- ظهور فضل الشافع على المشفوع فيه .
3- هي من إكرام الله ورحمته وفضله .
فائدة :
للنبي ﷺ نوعان من الشفاعة **:**
خاصة **: وتشمل :**
1- الشفاعة لأهل الموقف ، والدليل حديث ابن عمر ﷺ: (إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ اشْفَعْ يَـا فُلَانُ اشْـفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ) [أخرجه البخاري] .
2- الشفاعة لأهل الجنة لدخولها ، والدليل حديثُ أَنَس بْن مَالِك أن رَسُولُ ﷺ قال : (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ, وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا)[رواه مسلم**].**
3- الشـفاعة لعمـه أبي طـالب ، والـدليل قولـه ﷺ : (لَعَلَّهُ تَنْفَعُـهُ شَـفَاعَتِي يَـوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُـهُ) [متفـقٌ عليـه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ].
عامة **: وتكون له ولغيره من المؤمنين ، وتشمل :**
1- الشفاعة لرفع الدرجات .

2- الشفاعة لأهل الكبائر ، والدليل قوله ﷺ : (شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي) [أخرجه أبو داود من حديث أنس بن مالك ﷺ وصححه الشيخ الألباني –رحمه الله-] ، وقوله ﷺ : (إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنْ النَّاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعَصَبَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ) [الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ] .
3- الشفاعة في خروج أقوام من الموحدين من النار ، والدليل قوله ﷺ : (... ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْـرُجَ مِنْ النَّارِ مَنْ قَـالَ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَـانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِمَا يَزِنُ شَعِيرَةً ...) [أخرجه مسلم من حديث جابر ﷺ] .
[راجع معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (2/889 – 906) ، ط. دار ابن القيم]

الــقــاعِــدَةُ الـثــالِــثــةُ

[المـَتـْن] :
قَوْلالمَصَنِّف - رَحِمَهالله-**: [** (القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ النَّبِيَ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِقِينَ في عِبَادَاتِهِمْ : مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُد الملائِكَةِ ، و مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُد الأنبياءَ والصالحينَ ، و مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُد الأَشْجَارَ والأَحْجَارَ ، و مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُد الشَّمْسَ والقَمَرَ ، وقَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ ولم يُفَرِّقْ بَيْنَهُم ، و الدليلُ قَولُهُ تَعالَى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتّىَ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلّهُ لله ﷻ[الأنفال 39].
ودَلِيلُ الشَّمْسِ والقَمَرِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا

لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [فصلت :37].
ودَلِيلُ المَلائِكَةِ قَولُهُ تَعَالَى: وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً [آل عمران : 80].
ودَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ قَولُهُ تَعَالَى: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ [المائدة : 116] .
ودَلِيلُ الصَّالِحينَ قَولُهُ تَعَالَى: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ [الإسراء:57].
ودَلِيلُ الأَحْجَارِ والأَشْجَارِ قَولُهُ تَعَالَى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى *وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى [النجم: 19،20]
وحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : ((خَرَجْنَا مَعَ النَّبِي إلى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا،وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنَوَاطٍ ...)) الحديث)] .
[الشـرح] :
أورد الشـيخ - رحمـه اللـه - هـذه القاعـدة ليـدفع بهـا شـبهة**من أعظم شـبهات القبوريين والخرافيين في قديم الدهر و حديثه.**وهى **: أنهم يحصرون الشرك في عبادة الأصنام !!! .**
ورد هذه الشبهة **: يكون باستعراضِ حالِ المشـركين حين بعثـة النـبي صـلى اللـه عليه و آله وسلَّم فقد تنوعت وتعددت معبوداتهم .**
وأستدلّ الشيخ على أبطال قاعدة الكفَّار: { أن الشرك عبادة الأصنام } بقتال النبي صلى الله عليه وسلام لكآفة المشركين وعدم التفريق بينهم وهذه حجةٌ واضحةٌ ظاهرة في أن النبي اعتبر بصرف العبادة لغير الله و إلا لتوجّه لقتالعبدت الأصنام منهم .
قوله : (والدَلِيلقَوْلهتَعَالَى)يعني : **والدليل علي أنْ النبي قاتل جميع المشركين ولم يفرق بينهم قوله تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ قال الضحاك عن ابن عباس وَقَـاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ يعني :حتى لا يكون شرك ،وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ قال الضحاك : عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : يخلص التوحيد لله .**قوله : (وَدَّلِيلُالشَّمَّسَوالقَّمَر)**أي : والدليل علي أن بعض من بُعث فيهم النبيُّكانوا يعبدون الشمس والقمر.**
قوله تعالى :وَمِنْ آيَاتِهِ...الشّاهد في الآية قوله : لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ فنهىالله تعالى عن السجُّود للشمس والقمـر فـدلّ ذلـك علي أنّ بعض من بُعث فيهم النبي صلي الله عليه وسلام كانوا يعبدون الشمس والقمــر و إلا كان النهي عبثاً وكيف ينهي الله عن أمر لاوجود له .
هذه الآية اشتملت على عدة فوائد :
الأولى :**بطلان ألوهية الشـمس والقمـر لقولـه تعـالى : الَّذِي خَلَقَهُنَّ الـدال علي أنهن من جملة المخلوقات والمخلوق لا يستحق أن يعبد .**
الثانية : **في قولهتعالى : إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُـدُونَ حصـرُ العبـادة في اللـه ووجـه الحصر : أنّه قدَّم المفعول{ إياه } علي الفعل والفاعل{ تعبدون }.**
الثالثة :**أن من توجّه بالسجود للشمس والقمر فقـد عبـدهما ومن توجّـه بالسـجود لله فقد عبده .**
فنقول لأصحاب الشبهة : ماذا تقولون فيمن عبد الشمس والقمر ؟
فلهم جوابان لا ثالث لهما:
الأول**: إما أن يقولوا : بالحكم عليهم بالإسلام ويكونون بذلك قد كذَّبوا القرآن .**
الثاني **: و أما أن يحكموا عليهم بالكفر ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم .**
قوله : (ودليل الملائكة)
أي : والدليل علي أن بعض من بعث فيهم النبي كانوا يعبدون الملائكة .

قوله تعالى : **وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)أرباباً : أي معبودين .**
فسمّى الله تعالى : من أتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كافراً فمن أتخذ غيرهم كان أشد كفراً ، لماذا ؟
لأن الملائكة والنبيين أقرب المخلوقات إلي الله ، فإذا بطلت عبادتهم فعبادة غيرهم من باب أولى .
فنقول لأصحاب الشبه : ماذا تقولون في من عبد الملائكة والنبيين ؟
لهم جوابان لاثالث لهما :
الأول: **أن يحكموا عليهم بالإسلام، ويكونون بذلك مكذّبين للقرآن لأنّ الله كفرّهم وهم يحكمون بإسلامهم .**
الثاني :**أن يحكموا عليهم بالكفر . ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم لأن الملائكة والنبيين ليسوا بأصنام .**
قوله : (ودليل الأنبياء)
أي : والدليل علي أن بعض من بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلام كانوا يعبدون الأنبياء .
قوله تعالى : **وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ...).**
قوله تعالى:**أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ؟ الاستفهام لطلب التعيين ،** والمعني : **هو أأنتالذي قلت لهم ذلك ؟ أم أنهم فعلوا ذلك من تلقاءِ أنفسهم .**
وهذه الآية فيها إبطال ألهوية عيسى و أمّه من وجوه :
الأول: **قوله تعالى : يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فوصفه وناداه بالبنوة لمريم والإله لم يولد و الإله لايلد .**
الثاني : **قوله تعالى: اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ ...ولم يقل: و اتخذونى ومريم وذلك ليثبت أنّ له أمّاًوأنّه مولود فلا يستحق أن يكون إلهاً .**
الثالث: **قوله تعالى : تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ... دليل على عجزه وضعفه وقصوره والذي يستحق أن يعبد هو الذيلايخفى عليه شيء لذا قال عيسى: : إنك أنتعلاّم الغيوب .**
الرابع : **قوله تعالى: اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ... فهو مربوبٌ و المربوب لا يُعبد وإنما الذي يستحق أن يعبدهو الربَّ .**
الخامس : **قوله تعالى: وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ...** ، ما الفائدة من هذا السؤال لعيسى؟
الجواب : **الفائدة زيادة إقامة الحجة على النّصارى .**
فنفى عيسى هذا القول بأبلغ أنواعالنفي وذلك من وجوه :
الأول:**قولهتعالى : سُبْحَانَكَ ... أي أنزهك عن الشركاء .**
الثاني :**قوله تعالى :مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ... ، ولم يقل : لم أقله ؛ لأنّ قوله : لم أقله نفى لصدور هذا القول منهُ فيما مضى ، أما قوله : مَا يَكُونُ لِي... نفى له فيما مضى وفي الحاضر وفي المستقبل .**
الثالث : **قوله تعالى: إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ... فعلمُ الله بأنه قد قال منتفي ولذاانتفى القول .**
الرابع :**قوله تعالى :مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ... فنفى جميع الأقوال المغايرة- [المخالفة]- لما أمره به ويدخل في جملة ذلك هذه المقالة. وحصر دعوته فيما أمر الله به ولم يتجاوز ذلك ووجه الحصر { الإستثنا ء [إلا] المسبوق بالنفي[ما قلت]} .**
سؤال : وهل أمر الله نبياً من الأنبياء أن يقول للناس أعبدوني؟
الجواب : **{لا}، و الدليل قوله تعالى : مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي... وقوله تعالى : وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ .**

*** اختار الشيخ { عيسى } من الأنبياء عليهم السلام ، وفى إيراد الشيخ لهذا المثال إلزاملأهل الباطل والشرك والكفر بأن يقولوا بإسلام النصارى !!!.**

قوله : (ودليل الصالحين)

أي : والدليل علي أن بعض من بُعث فيهم النبي كانوا يعبدون الصالحين .

قوله تعالى : **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ... الإشارةهنا للمعبودين ، وقد جاءت قراءة أخرى مفسَّره وهي : أُولَئِكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ... .

قوله تعالى : **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**

هذا هو الدليل على صلاحهم ؛ لأنّ من خاف على الأعمال الصالّحة و رجى رحمة الله رجاءً يدفعه لعمل الصالحات ، وخاف الله خوفاً يردعه عن المحرمات كان ذلك دليل صلاحه .

سببنزول هذه الآية :

قال البخاري– رحمه الله -:**حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُفِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ ، قَالَ : كَانَ نَاسٌ مِنْ الْجِنِّ يُعْبَدُونَ فَأَسْلَمُوا .**

وفي رواية عند مسلم: **قَالَ كَانَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ أَسْلَمُوا وَكَانُوا يُعْبَدُونَ فَبَقِيَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ عَلَى عِبَادَتِهِمْ وَقَدْ أَسْلَمَ النَّفَرُ مِنْ الْجِنِّ.** وفي رواية عند مسلم: **عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبَدٍ الزِّمَّانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ ، قَالَ : نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنْ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَنَزَلَتْ.**

*** ويظهر من سبب النّزول أنّ الحيّ من العرب لما عبدوا الجنّ في حال كفرهم كانوا كفّار ولما عبدوهم في حال إيمانهم كانوا كفاراً أيضاً ،**

فدل ذلك على أن العبرةبصرف العبادة لغير الله دون النظر لذلك الغير .

قوله: (ودليل الأشجارو الأحجار)

أي: و الدليل على أن بعض المشركين كانوا يعبدون الأشجار والأحجار .

قوله تعالى: **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى .**

اللات **:صخرة** العزى **: شجرة** مناة **: صخره أيضاً** هبل **: رجل .**

الشاهد من الآية **: أنَّ الله عزوجل ذكر الأشجاروالأحجار وساقها مساقاً واحداً فعلم من هذا أن من توجه بالعبادة للحجر كان كمن توجه بها للشجر .**

قوله : (وحديث أبى واقد لليثي، قال : (خرجنا من النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحنحدث ...)

نص الحديث :

أخرّجه الترمذي في الفتن باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم(2180)ولفظه:

[عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ـ رضي الله عنه ـ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ ،فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ!، فَقَالَ النَّبِيُّ :(سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)] [1].

---

[1] وأخرجه أحمد(5/218)،والطيالسي(2346)،والشافعي(بدائع المنن - 23)،والحميدي(848)،ومعمر في"الجامع"(20763)،وابن أبي عاصم في"السنة"(76)،وابن نصر في"السنة"(ص11,12)،وأبويعلى(1441)،وابن حبان(6702-الإحسان)،والطبري في"تفسيره"(9/31)،والطبراني في"الكبير"(3290-3294)،واللالكائي في"شرح أصول اعتقد أهل السنة"(1/124)،والبغوي في"تفسيره"(2/280)،والبيهقي في"معرفة السنن والآثار"(1/108)،وصححه ابن حبان، وابن حجر في "الإصابة"(4/216)،والألباني في"ظلال الجنة"(76) .

(عن أبى واقد الليثي) : **اسمه الْحَارِثُ بْن عَوْف.**
(خرجنا من النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهدٍ بكفر) : **هذا اعتذار منه لما صدر منهم هذا الفعل .**
(وللمشركين سدره يعكفون عندها): **والعكوف هو ملازمة الشيء على وجه التعبد .**
(وينطون) : **أي يعلقون .**
(يقال لها ذات أنواط) : **أي ذات التعاليق** .الشاهدمن الحديث: **أنَّالنبي صلى الله عليه وسلم سوّى بين من طلب شجرةً يتبرك بها ومن طلب صنماً ليعبده فدل ذلك على أن العبرة بالمعاني والحقائق لا بالأسماء ، وهذا الحديث من أدلة العذر بالجهل.**

الـقَـاعِـدَةُ الـرَّابِـعَـة

[المَـتْـن]:
قَوْلالَمَصَنَّف - رَحِمَهاللـه - : [(القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ مُشِركِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكاً مِنْ الأَولينَ ، لأَنَّ الأَولِينَ يُشْرِكُونَ في الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ في الشِّدَةِ ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِماً في الرَّخَاءِ والشِّدَةِ .والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت : 65])].
[الشرح] :
وهذه القاعدة مأخوذة من عموم ماسبق فإنّ الذي يفهم مامرّ تتضح له هذه القاعدة غاية الوضوح ، وهى : { أَنَّ مُشِركِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكاً مِنْ الأَولينَ } . ومن فقه الشيخ - رحمه الله - أنّه أخّر هذه القاعدة، إذْ لو قدَّمهالاستعظمها الناس.
ثم ذكر أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين و ذلك من وجوه :
الأول :**أنَّ المشركين الأولون يشركون في الرخاء و يخلصون في الشدة ، و أما مشركو زماننا فشركهم دائم في الرخاء و الشدة بل يكونون أشد شركاً في الشدة .**
الثاني :**أنَّالمشركين الأولون يوحدون الله في ربوبيته و يشركون به في ألوهيته ، و أما مشركو زماننا فشركهم في الربوبية و الألوهية .**
الثالث :**أنَّالمشركين الأولون أعرف بمعنى العبادة من المتأخرين لأنهم سمّوا ما يتوجهون به لغير الله عبادة و الدليل قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ... ﴾ .**
الرابع :**أنَّالمشركين الأولون أعرف بمعنى [لا إله إلا الله] من المشركين المتأخرين .**
الخامس :**أنَّ المشركين الأولون لم ينكروا من الأسماء و الصفات إلا (الرحمن)وإنما أنكروه مكابرة وإلا فقد جاء في أشعار الجاهلين ما يدل على ذلك . و أما مشركو زماننا فأنكروا جُل الأسماء والصفات .**
السادس :**أن المشركين الأولون عبدوا الملائكة و الأنبياء و الصالحين وهؤلاء لا شك في صلاحهم و قربهم من الله و عبدوا الأحجار و الأشجار و هؤلاء في أدنى أحوالهم أنهم لا يعصون الله بل و يسبحون الله والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾و أما مشركو زماننافعبدوا الفسقة بل الكفرة.**
قال الشيخ– رحمه الله -: (تَمّتْ وّصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)
(تَمّتْ): **أي اكتملت القواعد الأربع.**
(وّصَلَى اللهُ) : **مضى شرحها ص (3) في الحاشية .**

:(وَآلِـهِ) **إذا أتت مفـردة فمعناهـا:المؤمـنين عامـة وأمـا إذا أتت مقترنـة ب**(وَصَحْبِهِ)**صار معنى** (آلهِ) **المؤمنين من قرابته**
ومعنى(وَصَحْبِهِ) **المؤمنين من غير قرابته.**

آل النبي هم أتـباع مـلته على الدين من عجم و من
لـو لميـكن آله إلا قرابته صلى المصلى على الطاغي

* الصحابي **: من لقي النبي مؤمناً به ومات على ذلك وإن تخللت ردته.**
* التابعي**: من لقي الصحابي مؤمنا ومات على ذلك وإن تخللت ردته.**
* المخضرم **: من أدرك زمان النبوة و لم تكن له صحبه.**
قوله :(وَسَلَّمَ) من النقائص و العيوب كما قال تعالى : سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ *وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ومن هنا يتـبينُ خطأ من يقول : (اللهم أنت السلام و منك السلام وإليك السلام)مـن وجـهـيـن:
الأول **:فيه نسبة النقص و العيب إلي الله سبحانهوتعالى .**
الثاني **: عدم ثبوت هذا اللفظ في السنة.**

تم الشرح و الحمد لله رب العالمين

(وسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)